

فلسفة الحروف لدى الفارابي

دكتور

هانئ محمد المهدي

المدرس بقسم مقارنة الأديان

كلية الدراسات الآسيوية العليا

جامعة الزقازيق

عُرِفَ الفارابي في الأوساط العلمية بكونه فيلسوفاً، ولم يتم تسليط الضوء عليه . بشكل واف على أنه لغوي بارع، له فلسفته ورؤيته الخاصة في نشأة اللغات وتطورها، وفي كيفية انتقال اللغة من مستوى التلفظ بالحروف أو الأصوات إلى المستوى البلاغي، ثم إلى المستوى المنطقي والفلسفي.

نشأ الفارابي في القرن الرابع الهجري في عصر نضجت فيه اللغة العربية نضجا مكنها من الانتشار والسيطرة على ربوع المعمورة. فلم يعد استخدام اللغة العربية مقصورا على التعبير عن الخيالات والعواطف والمشاعر والاحتياجات . كما كان لدى عرب الجاهلية الذي كانوا يتبارون في التعبير عن أختلتهم وما يجيش في صدورهم بالأشعار والخطب والأمثال والحكم، بل صارت اللغة وعاء لكل العلوم، فتتوعدت اتجاهات ألفاظها، وصار أهل كل صناعة ينهلون منها ما يعبر عن صناعتهم ويخصصها، فاستوعبت اللغة العربية كل الصناعات العلمية واللغوية، وما ضاقت عن وصف كل ما يستجد في حياة الناس، فأسعفت أصحاب العلوم في التعبير عن أفكارهم ومخترعاتهم، فظهرت لغة النحاة، ولغة الفقهاء، ولغة المحدثين، ولغة المتكلمين، ولغة الفلاسفة والمناطقية، ولغة أهل الفن والجمال والموسيقى، ولغة الشعر والأدب، ولغة التجارة وغيرها من الصناعات.

نشأ الفارابي في هذا الزخم اللغوي، حيث عصر ازدهار الترجمة والعلوم، فوضع فلسفته في نشأة اللغات وتطورها، فتحدث عن أصل تكوين الألسن (اللغات)، وبين كيف تكونت السنة (لغات) العلوم، وكيف تكونت لغة الفلسفة، ووضع في ذلك المصنفات التي من أشهرها: "كتاب الحروف" وكتاب "الألفاظ المستعملة في المنطق" فأوضح أن الإنسان بطبيعته مفطور على القابلية للمعارف، وأن الناس لديهم استعدادات فطرية لتكوين الأصوات والألفاظ، فيحاكون أصوات بيئتهم التي عاشوا

فيها، ويتواصلون بالإشارات والألفاظ، ثم يتوافقون على دلالات الألفاظ، فتتنظم المعاني وتنشأ بينهم اللغة المسموعة أولاً، ثم تأتي بعدها مرحلة الحروف المعجمية، فينتقلون إلى مرحلة الكتابة، فيكتبون لغتهم، ثم تأتي مرحلة تكوين لغات الصناعات العلمية، فيصبح لكل جماعة لغتها التي تعبر بها عن صناعتها، كلغة الفلاسفة والمناطقة والمحدثين والصوفية... وغيرهم.

وتحت الفارابي عن دور الرواة والحفّاظ في الحفاظ على اللغة وابتكار ألفاظها ونقلها وتوريثها لمن بعدهم للحفاظ على أصالة وفصاحة الكلمات والمعاني، فيقوم الأجيال بعدهم بتوطينها في أهلهم وفي بلادهم، فيصلون باللغة إلى مرحلة التعليم والتلقين والتفعيد، فإذا تكاثرت عليهم الأمور، وصارت الذاكرة لا تسعفهم في الحفاظ على الألفاظ والمعاني المتكاثرة، فيلجأون إلى تسجيلها وكتابتها؛ لتحل الكتابة محل الذاكرة. فالكتابة في نظر الفارابي آلة لتدوين ما يعسر على الناس حفظه صيانة للغة وخشية عليها من النسيان مع تطاول الأزمان، وبهذا تصير الكتابة دالة على الألفاظ، والألفاظ دالة على المعاني. كما أن الكتابة كانت الوسيلة الآمنة لنقل لغة الصحراء الصافية إلينا، ولولا الكتابة لما تمت صناعة المعاجم، وتحدث الفارابي عن مرحلة متطورة للكتابة، وهي مرحلة علم الخط أو الخطوط والزخرفة، فتحوّلت الكتابة من مجرد أداة لحفظ العلوم بديلاً عن الذاكرة إلى وسيلة لإبراز جمال وجماليات الحروف اللغوية، فصار الخط فنا له أنواعه وقواعده الخاصة.

علاقة الفارابي بالفلسفة

انتقلت الفلسفة من أثينا وروما إلى الإسكندرية، ومنها إلى أنطاكية ثم إلى بغداد، حيث نشطت فيها حركة الترجمة من اللغات العديدة إلى اللغة العربية في العصرين الأموي والعباسي، وكان الفارابي واحداً من أنشط طلاب العلم الذين رحلوا من بلده فاراب إلى بغداد والتقى بالمتترجمين وتعلم العديد من اللغات كالعبرية والسريانية والفارسية والهندية واليونانية واللاتينية، وتأثر بالكتب الفلسفية الغربية، فتناولها بالدراسة والشرح، فنضجت على يديه فكرة الاعتناء بوضع المصطلحات الفلسفية وبيانها بيانا لم يسبقه إليه أحد قبله. سوى "الكندي" أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الملقب بـ "فيلسوف العرب" (ت: ٢٦٠ هـ تقريباً)^(١) الذي كانت له محاولات في هذا المضمار، وقد أسفرت جهود الفارابي في الاهتمام بالمصطلح الفلسفي إلى ظهور فكرة علاقة الدين بالفلسفة والتوفيق بينهما.^(٢) فعده كثير من الباحثين أنه "أول الفلاسفة العظام الذين فلسفوا الدين الإسلامي، وأول من حمل المنطق اليوناني تاماً منظماً إلى العرب". واعتبره "ابن خلدون" من أكابر الفلاسفة في الملة الإسلامية وأشهرهم، لدرجة أنه ما من فكرة في تاريخ الفلسفة الإسلامية إلا وأنت واجد جذورها عند الفارابي.^(٣)

قام الفارابي بشرح وتنظيم الألفاظ والمصطلحات الفلسفية. حتى إنه اهتم بالأدوات أو الحروف، فكان أول واضع لقاموس المصطلحات الفلسفية العربية. ويعتبر

١ فيلسوف العرب والمعلم الثاني. مصطفى عبد الرزاق: القاهرة ١٩٤٥. عن كتاب الكندي والفارابي رؤية جديدة. د. خالد حرب. ص ١٩ توزيع منشأة المعارف الإسكندرية سنة ٢٠٠٣. ص: ٤٦
٢ د. محمد البهي. الفارابي الموفق والشارح.. ط: ١ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨١. ص ٦. و الكتاب التذكاري "أبو نصر الفارابي في الذكرى الألفية لوفاته" د. إبراهيم مذكور. إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ط: ١٩٨٣ م. ص: ١٨ وما بعدها.

٣ الفارابي. د. مصطفى غالب.. منشورات دار مكتبة الهلال ١٩٩٨م بيروت. ص ١٧

كتابه " الحروف" وكتابه " الألفاظ المستعملة في المنطق" دليلاً على هذا السبق. كما اشتهر الفارابي كشارح لأرسطو، لدرجة انهم أطلقوا عليه اسم " المعلم الثاني" فقد قام بشرح فلسفة أرسطو وأفلاطون وجالينوس. ويذكر "ابن سينا" أنه قرأ كتاب "ما بعد الطبيعة" لأرسطو، فقال: (فما كنت أفهم ما فيه والتبس عليّ غرض واضعه حتّى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه .. وآيست من نفسي وقلت: هَذَا كتاب لا سبيل إلى فهمه، وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين ويبد دلال مجلد ينادى عَلَيْهِ فعرضه عليّ فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة في هَذَا العلم، فقال لي: اشتر مني هَذَا فإنه رخيص أبيعك بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلى ثمنه، فاشتريته، فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب "ما بعد الطبيعة" فرجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب ... وفرحت بذلك وتصدقت ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى)(٤).

فلسفة نشأة اللغات لدى الفارابي

عنون الفارابي في كتابه "الحروف" "الفصل العشرين" بعنوان: "حدوث حروف الأُمَّة وألفاظها" بين فيه أنّ المعارف والصناعات العمليّة تنشأ في بادئ أمرها مشتركة للعوامّ أو الجمهور والخواص (المتقّين أو المفكرين)، فالجماعة التي تنشأ مع بعضها في مسكن واحد وبلد محدود، " يُفطّرون على صُورٍ وخلق في أبدانهم محدودة، وتكون أبدانهم على كَيْفِيَّةٍ أمزجة محدودة، وتكون أنفسهم معدّة ومسدّدة نحو معارف وتصوّرات

٤ أخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، نشر: مطبعة السعادة - القاهرة - ١٣٢٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد أمين الخانجي * جزء ١ صفحة ٢٧٠
العدد السادس والخمسون ٦ أكتوبر ٢٠٢١

وتخيّلات بمقادير محدودة في الكميّة والكيفيّة - فتكون هذه أسهل عليهم من غيرها، وأن تتفعل انفعالات على أنحاء ومقادير محدودة الكيفيّة والكميّة - وتكون هذه أسهل عليها (أي: على الجماعة)، وتكون أعضاؤهم معدّة لأن تكون حركتها إلى جهات ما وعلى أنحاء أسهل عليها من حركتها إلى جهات آخر وعلى أنحاء آخر، والإنسان إذا خلا من أوّل ما يُفطر ينهض ويتحرّك نحو الشيء الذي تكون حركته إليه أسهل عليه بالفطرة وعلى النوع الذي تكون به حركته أسهل عليه...^(٥)

والفارابي هنا يشير إلى مبدأ الميل إلى السهولة وإلى مبدأ وحدة الجماعة التي تسكن مكانا واحدا، أي وحدة السكان، بمعنى أن كل مجموعة تسكن مكانا معيناً لها ميول معينة خاصة بهم نابعة من بيئتهم التي يسكنونها، وهذا هو سبب تنوع اللغات حسب فلسفة الفارابي لنشأتها.

ويطبق الفارابي مبدأ "الميل إلى السهولة" على الإنسان، فيرى الفارابي أن الإنسان بفطرته يميل ويتحرك نحو الشيء الأسهل عليه، وأول أمر يسهل علي الإنسان هو التعلم والتخيل والتفكر في الشيء الأكثر ارتباطاً بفطرته، فتتحرك أعضاء جسمه " نحو هذا الشيء، فتنهض نفسه إلى أن يعلم أو يفكر أو يتصوّر أو يتخيّل أو يتعقّل كلّ ما كان استعداداً له بالفطرة أشدّ وأكثر - فإنّ هذا هو الأسهل عليه - ويحرّك جسمه وأعضائه إلى حيث تحرّكه. وأوّل ما يفعل شيئاً من ذلك يفعله بقوة الفطرة والمملكة الطبيعية، لا باعتياد له سابق قبل ذلك ولا بصناعة. وإذا كرّر فعل شيء من نوع واحد مرارا كثيرة حدثت له ملكة اعتيادية، إمّا خلقية أو صناعية.^(٦)

٥ الحروف جزء ١ صفحة: ١٣٤. ١٣٥

٦ الفارابي، الحروف نشر: دار المشرق - ١٩٩٠، الطبعة: الثانية، تحقيق: محسن مهدي. جزء ١

فلسفة التواصل بين البشر

الإشارة والتصويت

يرى الفارابي أن الإشارة هي أول أشكال التواصل بين البشر، ثم يليها التصويت، فببداً تكوين اللغة لديه أولاً بحاسة البصر ثم السمع، فإذا احتاج الإنسان أن يعرف ويفهم غيره ما في نفسه أو ما في ضميره استعمل الإشارة للدلالة على ما يريد، ثم بعد ذلك يستعمل التصويت (الأصوات)، وأول التصويتات النداء^(٧) فينتبه الشخص المستمع (فيعلم أنه المقصود بالتفهم لا سواه) ثم بعد ذلك يستخدم تصويتات مختلفة يدل كل صوت منها على شيء معين، فيخصص لكل أمر محسوس صوتاً معيناً يناسبه، وتحدث تلك الأصوات بفعل قرع الهواء الخارج من الرئتين، فيقرع أجزاء في الحلق والفم والأنف والشفيتين و اللسان، فينتقل الصوت بالهواء إلى الخارج، ويتحرك اللسان عند النطق إلى الجزء الذي حركته إليه أسهل. فالذين يسكنون في مكان واحد تكون حركات ألسنتهم داخل الفم متقاربة، أو واحدة، وهكذا كل جماعة تسكن في مكان وحدها، تكون حركات ألسنتهم واحدة وتختلف عن الجماعة الأخرى التي تسكن في مكان آخر، وهكذا تنشأ اللغات، وهذا (هو السبب الأول في اختلاف ألسنة الأمم، فإن تلك التصويتات الأولى هي الحروف المعجمة)^(٨).

وقد أشار إخوان الصفا قبل الفارابي في القرن الثالث الهجري في رسائلهم إلى نفس فلسفة الفارابي، فبينوا أن سبب تنوع اللغات يعود إلى تنوع الطبائع والبيئات والأمزجة، وكان للطبيعة أثرها في الخصائص النطقية والصوتية لكل مجموعة من البشر، فجاء

٧ السابق. ص: ١٣٦

٨: السابق: ١٣٧

العدد السادس والخمسون

تنوع الألسنة نتيجة للتنوع في الطبيعة، فتتأثر اللغة بأمزجة الناس وطبائعهم وبأهوية بلدانهم وأغذيتهم، .." (٩)

وكذلك قدم الإمام السيوطي في القرن العاشر الهجري أقوال العلماء في فلسفة نشأة اللغات فذكر قول الكيا الهراسي في تعليقه في أصول الفقه: "وذلك أن الإنسان لما لم يكن مكتفياً بنفسه فيما يقيم معاشه، لم يكن له بد من أن يسترشد المعاونة من غيره، ولهذا اتخذ الناس المدن ليجتمعوا ويتعاونوا . وقيل : إن الإنسان هو المتمدن بالطبع، والتوحش دأب السباع، ولهذا المعنى توزعت الصنائع وانقسمت الحرف على الخلق، فكل واحد قصر وقته على حرفة يشتغل بها؛ لأن كل واحد من الخلق لا يمكنه أن يقوم بجملة مقاصده فحينئذ لا يخلو من أن يكون محل حاجته حاضرة عنده أو غائبة بعيدة عنه، فإن كانت حاضرة بين يديه أمكنه الإشارة إليها، وإن كانت غائبة فلا بد له من أن يدل على محل حاجاته وعلى مقصوده وغرضه، فوضعوا الكلام دلالة و وجدوا اللسان أسرع الأعضاء حركة وقبولاً للترداد . وهذا الكلام إنما هو حرف وصوت، فإن تركه سدى غفلا امتد وطال، وإن قطعه تقطع فقطعوه وجزؤوه على حركات أعضاء الإنسان التي يخرج منها الصوت وهو من أقصى الرئة إلى منتهى الفم فوجدوه تسعة وعشرين حرفاً لا تزيد على ذلك" (١٠).

٩ انظر : الرسالة ٣١ رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا. تأليف: إخوان الصفا. نش مؤسسة هنداوي

سي أي سي. المملكة المتحدة ط: ٢٠١٧.. ١٢٥/٣

١٠ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، جزء ١ صفحة ٣٢

نشر: دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٨هـ. ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: فؤاد علي منصور.

وفي فلسفة نشأة الكلام يرى الفارابي أن الحروف أو التصويبات التي اخترعها عوام الناس (لم تف بالدلالة على جميع ما يتفق أن يكون في ضمائرهم) فاضطروا إلى تركيب بعض الحروف مع بعضها فتكون لديهم أصوات من حرفين أو أكثر فيستعملونها للدلالة على أشياء أخرى، سواء كانت محسوسات أو معقولات، فعندما يخاطب شخص غيره بلفظ يدل على شيء أو غرض معين، فإن السامع يحتفظ بتلك اللفظة، و يحتذى حذوه بالتلفظ بها (فيكونان قد اصطلاحا وتواطأ عليها، فيخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند الجماعة) (١١)

فينشأ ناشئوهم على سماع تلك التصويبات والتعود على نطقها، فتجري على ألسنتهم فلا يميلون إلى غيرها، فنتشكل لغتهم، يقول الفارابي: "فينشأ من نشأ فيهم على اعتيادهم النطق بحروفهم وألفاظهم الكائنة عنها وأقوايلهم المؤلفة عن ألفاظهم من حيث لا يتعدون اعتيادهم، ومن غير أن يُنطق عن شيء إلا مما تعودوا استعمالها. ويمكن ذلك اعتيادهم لها في أنفسهم وعلى ألسنتهم حتى لا يعرفوا غيرها، حتى تحفوا ألسنتهم عن كل لفظ سواها وعن كل تشكيل لتلك الألفاظ غير التشكيل الذي تمكن فيهم وعن كل ترتيب للأقويل سوى ما اعتادوه"^{١٢}.

بهذا أشار الفارابي إلى أن الناس كلما ركبوا حروفا سهلة و متناسقة مع بعضها كثرت الدلالات. ولا يزال كل شخص يحدث التصويبات واحدا بعد آخر، و يصطلح عليها مع غيره من أهل البلد التي يسكنونها إلى أن يقوم ولي أمرهم بإحداث (ما يحتاجون إليه من التصويبات للأمور الضرورية الباقية من السلوكيات والمرثيات التي لم يتفقوا على تصويبات لها، وبهذا يتكون لسان تلك الأمة).

١١ كتاب الحروف. للفارابي. ١٣٧/١

١٢ كتاب الحروف للفارابي جزء ١ صفحة ١٤١

فالأشياء التي ينبغي أن يعلمها الناس أولاً هي الأشياء التي يستخدمونها ويحتاجون إليها والموحدة عند الجميع. و بين الفارابي أن المقصود من معرفة الأشياء ليست هي الألفاظ الدالة عليها، وأن المقصود هو ما ينطبع في الذهن عند سماع الألفاظ، إذ دلالة الألفاظ ليست واحدة عند الجميع. "فإن الأشياء التي شأنها أن تعلم هي الأشياء التي شأنها أن تكون واحدة عند الجميع، والألفاظ الدالة ليست واحدة بأعيانها عند الجميع، فبين أن المقصود معرفته من الأشياء ليست هي الألفاظ الدالة عليها. فيقصد أن الألفاظ هي مجرد عناوين أو مسميات للأشياء، وليست دالة على حقيقتها أو جوهرها"^(١٣).

ويرى الفارابي أن العوام، والجمهور هم أسبق من الخواص في تكوين المعارف فهم أول ما يحدثون ويكونون ثم يتواطون على ألفاظ للصناعات والآلات، وذلك لما يحدث بينهم من تجارب مشتركة. وهكذا تجهد كل أمة حسبما أوتيت من الذكاء والفطرة في إيجاد الألفاظ للمعاني، حتى تستقر المعاني مع ألفاظها، ثم تتطور الأمور فيما بعد فتستعمل الألفاظ في غير معانيها، فتنشأ حين إذ الاستعارات و المجازات فيتوسع الناس في التعبير وتكثر الألفاظ، ويتم تبديل بعضها ببعض وتحسينها وترتيبها إلى أن حدثت الخطب والأشعار فتمكنت الألسن من اللغة، فتصبح اللغة عادة في أنفسهم، فيحافظون على ما أخذوه من أسلافهم ويضيفون إليه ويتوارث ذلك عنهم أبنائهم، فيقيسون الفصيح والصواب من الألفاظ، فيستطيعون التمييز بين الصحيح وبين الخاطئ من ألفاظهم^(١٤)

١٣ الألفاظ المستعملة في المنطق. للفارابي جزء ١ صفحة ٢٤

١٤ كتاب الحروف . ١ / ١٣٤

فأول ما ظهر من صنائع الكلم صناعة الخطابة، وذلك للتعبير عن احتياجات أفراد المجتمع، ثم ظهرت بعدها صناعة الشعر، وذلك انسجاماً مع الفطرة التي تميل إلى التنظيم والترتيب في كل شيء، فتم نظم الكلام ووزن ألفاظه، فظهرت صناعة الشعر بجوار صناعة الخطابة، وصار لهما رواة حفظوها ونقلوها إلى من بعدهم، فصار في كل أمة فصحاءها وبلغاؤها المحافظين على لغتها^(١٥).

أهمية اللغة لكل أمة

وإن كل أمة من الأمم - في رأى الفارابي - بحاجة إلى صناعة الكلام لبيان وحماية الملة التي تعتقدها ونصرتها ممن يرومون إفسادها بأن يدسوا فيها ما لم يصرح به واضعها. يقول الفارابي: "وإن اتفق أن يكون هناك قوم يرومون إبطال ما في هذه الملة، احتاج أهل الكلام إلى قوّة ينصرون بها تلك الملة ويناقضون اللذين يخالفونها، ويناقضون الأغاليط التي التمس بها إبطال ما صرّح به في الملة، فتكمل بذلك صناعة الكلام".^(١٦)

ويفرق الفارابي بين أسلوب الخطابة والشعر وبين الأسلوب الفلسفي والسوفسطائي، ففي الأسلوب الأول يُستعمل الاستعارة والمجاز، أما أهل الجدل والفلسفة فلا يستعملون الاستعارة والمجاز إلا للضرورة أو عند الحاجة. يقول: "والفلسفة فلا يُستعمل في شيء منها لفظ إلا على المعنى الذي لأجله وُضع أولاً، لا على معناه الذي له

١٥ السابق/ ١٣٦ وما بعدها.

١٦ كتاب الحروف جزء ١ صفحة ١٥٣

العدد السادس والخمسون

استعير أو تُجوز به وسومح في العبارة به عنه.^{١٧}

ويؤكد الفارابي على هذا المعنى في موضع آخر قائلاً: " فالأسماء المستعارة لا تستعمل في شيء من العلوم، ولا في الجدل، بل في الخطابة، والشعر". والأسماء المنقولة تستعمل في العلوم وفي سائر الصنائع. وإنما تكون أسماء للأمور التي يختص بمعرفتها أهل الصنائع. ومتى استعمل في العلوم أمور مشهورة لها أسماء مشهورة، فإنه ينبغي لأهل العلوم وسائر أهل الصنائع أن يتركوا أسماءها في صنائعهم على ما هي عليه عند الجمهور. والأسماء المنقولة كثيراً ما تستعمل في الصنائع التي إليها نقلت مشتركة، مثل اسم الجوهر، فإنه منقول إلى العلوم النظرية، ويستعمل فيها باشتراك، وكذلك الطبيعة، وكثير غيرها من الأسماء. والتي تقال باشتراك فقد يضطر إلى استعمالها في الصنائع كلها. ومتى استعمل منها شيء، فينبغي أن يخص المستعمل له جميع المعاني التي تحته ثم يعرف أنه إنما أراد من بينها معنى كذا وكذا، دون سائرها. فإنه إن لم يفعل ذلك، أمكن أن يفهم السامع غير الذي أراده القائل، فيغلط^(١٨).

ويرى الفارابي أن هناك من يخلط بين الأساليب المتباينة من الخطابة والشعر والجدل والفلسفة ظاناً أن ذلك سيوصله إلى البرهان " فإن المستعمل لها الذي ليس له عمل بها إنما يظن ويحسب أنه يستعمل البرهان..."^{١٩}

١٧ السابق: نفس الصفحة.

١٨ الفارابي. في المنطق،. نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة -١٩٧٦، الطبعة: ، تحقيق: د. محمد سليم سالم. جزء ١ صفحة ٥

١٩ كتاب فصول منتزعة للفارابي. تحقيق فوزي متري نجار. جامعة ولاية ميشغن. دار المشرق بيروت. ص: ٩٢

نشأة اللغة الفلسفية لدى الفارابي

يرى الفارابي أن شوق الإنسان إلى المعرفة بعد إتقانه للعلوم اللغوية يدفعه إلى التحليل والتفلسف. فيقول: " فإذا استوفيت الصنائع العمليّة وسائر الصنائع العاميّة التي ذكرناها اشتاقت النفوس بعد ذلك إلى معرفة أسباب الأمور المحسوسة في الأرض وفيما عليها وفيما حولها وإلى سائر ما يُحَسَّ من السماء ويظهر، وإلى معرفة كثير من الأمور التي استنبطتها الصنائع العمليّة من الأشكال والأعداد والمناظر في المرايا والألوان وغير ذلك. فينشأ من يبحث عن علل هذه الأشياء. ويستعمل أولاً في الفحص عنها وفي تصحيح ما يصحّ لنفسه فيها من الآراء وفي تعليم غيره وما يصحّحه عند مراجعته الطرق الخطبيّة لأنّها هي الطرق القياسيّة التي يشعرون بها أولاً. فيحدث الفحص عن الأمور التعاليميّة وعن الطبيعة". ولا يزال الناظرين فيها يستعملون الطرق الخطبيّة، فتختلف بينهم الآراء والمذاهب وتكثر مخاطبة بعضهم بعضاً في الآراء التي يصحّحها كلّ واحد لنفسه ومراجعة كلّ واحد للآخر. فيحتاج كلّ واحد إذا روجع فيما يراه مراجعة معاندة أن يوثق ما يستعمله من الطرق ويتحرى أن يجعلها بحيث لا تعاند أو يعسر عنادها. ولا يزالون يجتهدون ويختبرون الأوثق إلى أن يقفوا على الطرق الجدلية بعد زمان. وتتميز لهم الطرق الجدلية من الطرق السوفسطائية، إذ كانوا قبل ذلك يستعملونها غير متميزتين، إذ كانت الطرق الخطبية مشتركة لهما ومختلطة بهما، فترفض عند ذلك الطرق الخطبية وتُستعمل الجدلية، فلا تزال تُستعمل إلى أن تكمل المخاطبات الجدليّة حتى يتبين للناس أن استعمال الطرق الجدليّة ليس كافياً في حصول اليقين. فيتجهون حينئذ إلى طريق العلم و التعليم للوصول إلى مرحلة اليقين.^(٢٠)

ثم ينتقل الفارابي من مرحلة الجدل ومرحلة البرهان إلى مرحلة نيل السعادة بالوصول إلى اليقين والحكمة.

وبدايات التفلسف لدى الفارابي تبدأ بمعرفة الأعداد، ثم الارتفاع الى معرفة المقادير وعلم الأتقال والخيال، وغيرها، وكل هذه الأشياء تدرك وتتصور دون مادة حتى نرتقي إلى التفكير في الأجرام السماوية، ثم يميل الناس الى التفكير في الوقائع السياسية و الأمور المدنية، فينشأ لديهم التفكير السياسي الذي يؤدي بدوره إلى التفكير الفلسفي المؤدي إلى النظر والتأمل، ومن ثم يصل الإنسان إلى اليقين أو الى الإيمان أو الدين، وهذه تعتبر بذرة التقريب بين الفلسفة وبين الدين أو بداية الربط بينهما.

مفهوم الحروف لدى الفارابي

قسم النحويون الكلام إلى: اسم ، وفعل، وحرف^(٢١) وقصدوا بالحرف كل أداة ترتبط بالاسم أو بالفعل وتدل على معنى في غيرها لا في نفسها^(٢٢) مثل: ثم، وسوف، و واو القسم، ولم، ولن و.... ونحو هذا.

٢١ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي نشر: دار الفكر العربي - - ١٤٢٨هـ - ، جزء ١ صفحة ٢٠٠٨.٢٧١م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله الوراق، دار النشر: مكتبة الرشد- الرياض/ السعودية - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش. جزء ١ صفحة ١٤٢

٢٢ أبو الحسن محمد بن عبد الله الوراق. علل النحو، دار النشر: مكتبة الرشد- الرياض/ السعودية- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، جزء ١ صفحة ١٤٢ والاشارات والتببيهاات، أبو علي بن سينا، نشر: دار المعارف- مصر، الطبعة: الثالثة، تحقيق: سليمان دنيا جزء ١ صفحة ١٤٧

تناول الفارابي الحروف (الأدوات) تناولا مختلفا عن تناول النحويين لها، فبين أن دلالة اللفظة عند النحويين تختلف عن دلالتها لدى أصحاب العلوم الأخرى. فيقصد بالحروف الأدوات، وجعل لكل داة معنى في ذاتها، وبين دلالاتها المنطقية، فجعل الحروف أنواعا. وجعل لكل نوع منها اسما واستعمالا خاصا به، متأثرا في ذلك بالفلسفة اليونانية، التي جعلت لكل أداة وظيفة ودلالة منطقية خاصة بها. فذكر الفارابي أن الحروف أصنافاً كثيرة، "غير أن العادة لم تجر من أصحاب علم النحو العربي إلى زماننا هذا بأن يفرد لكل صنف منها اسم يخصه، فينبغي أن نستعمل في تعدد أصنافها الأسامي التي تأدت إلينا عن أهل العلم بالنحو من أهل اللسان اليوناني، فإنهم أفردوا كل صنف منها باسم خاص. فصنف منها يسمونه الخوالف (مثل: الضمير هـ. في "كتابه") ، وصنف منها يسمونه الواصلات (مثل: ال التعريف وأدوات النداء) ، وصنف منها يسمونه الواسطة (مثل: حروف الجر)، وصنف منها يسمونه الحواشي (مثل: إنَّ وأنَّ...)، وصنف منها يسمونه الروابط مثل: (إما وكلما..) وهذه الحروف منها ما قد يقرن بالأسماء، ومنها ما قد يقرن بالمركب منهما. وكل حرف من هذه قرن بلفظ فإنه يدل على أن المفهوم من ذلك اللفظ هو بحال من الأحوال ما يستعمله الجمهور وما يستعمله أصحاب العلوم. وينبغي أن نعلم أن أصناف الألفاظ التي تشتمل عليها صناعة النحو قد يوجد منها ما يستعمله الجمهور على معنى ويستعمل أصحاب العلوم ذلك اللفظ بعينه على معنى آخر^(٢٣). وربما وجد من الألفاظ ما يستعمله أهل صناعة على معنى ما ويستعمله أهل صناعة أخرى على معنى آخر. وصناعة النحو تنتظر في أصناف الألفاظ بحسب دلالاتها المشهورة عند الجمهور لا بحسب دلالتها عند أصحاب العلوم. ولذلك إنما يعرف أصحاب النحو من

٢٣ الفارابي. الألفاظ المستعملة في المنطق.. نشر: دار المشرق - بيروت - ١٩٦٨ ، الطبعة :

الثانية ، تحقيق : محسن مهدي. جزء ١ صفحة ١

دلالات هذه الألفاظ دلالاتها بحسب ما عند الجمهور لا بحسب ما عند أهل العلوم. وقد يتفق في كثير منها أن تكون معاني الألفاظ المستعملة عند الجمهور هي بأعيانها المستعملة عند أصحاب العلوم. فعندما يقصد الفارابي تعريف دلالات هذه الألفاظ فإنما يقصد المعاني التي تدل عليها هذه الألفاظ عند أهل صناعة المنطق فقط.

فظهر هنا أن الفارابي قد خالف النحويين في استعمال وتسمية لأدوات والحروف، فقال: "كثير مما سنعه في الحروف يرتبه كثير من النحويين لا في الحروف لكن إما في الإسم وإما في الكلم. ونحن إنما نرتب هذه الأشياء بحسب الأنفع في الصناعة التي نحن بسبيلها"^{٢٤}.

حتى إن الفارابي أطلق تسميات على الأدوات تتناسب مع استعمالها، فهناك أدوات تفيد الكمية، وأدوات تفيد المقدار، وأدوات تفيد الزمان، وأدوات تفيد المكان، فيقول: "والأمر الذي يستعمله المجيب في إفادة السائل مطلوبه يسمى باسم الحروف التي يستعملها السائل في الطلب أو باسم مشتق من اسم الحروف التي يستعملها السائل. والأمر الذي يستعمله المجيب في إفادة مقدار الشيء يسمى كمية، وهي مشتق من الحرف الذي يستعمله السائل عن مقدار الشيء. والذي يستعمله المجيب في إفادة زمان الشيء يسمى "متى"، وهو اسم ليس مشتقا من الحرف المستعمل في الطلب، لكن نقل إليه الحرف بعينه فسمي به. والأمر الذي يستعمله المجيب في إفادة مكان الشيء فإنه يسمى "أين"، وهو مسمى باسم الحرف الذي يستعمله السائل على جهة النقل لا على جهة الاشتقاق. ومنها ما إذا قرن بالشيء دل على أنه مطلوب معرفة

وجوده لا معرفة مقداره ولا زمانه ولا مكانه..".^(٢٥)

نماذج من المعاني الفلسفية للحروف

حرف "إن".

ليس هذا الحرف مجرد أداة للتأكيد، فقد اشار الفارابي إلى معنى عميق لهذا الحرف، وهو دلالاته على حقيقة الشيء وما هيته. فقد عقد الفارابي في الباب الثاني من كتاب الحروف فصلا لحرف "إن" بين فيه ان هذا الحرف في جميع اللغات يفيد "الثبات والدوام والكمال والوثاقة في الوجود وفي العلم بالشيء"^(٢٦). ولدلالة عمق هذا الحرف على التأكيد خصوا به الله تعالى فقالوا "أون" ممدودة بالواو، فإذا جعلوه لغير الله قالوها ب "أن" مقصورة، وتسمى الفلسفة الوجود الكامل "إنيّة" يقولون: "إنيّة الشيء" أي: هو بعينه، ماهيته وحقيقته، ويقولون. ما إنيّة الشيء؟ يقصدون به الوجود الأكمل. ويقتصر استعمال حرف "إن" على الاخبار فقط دون السؤال.^(٢٧)

حرف "متى".

ربط الفارابي هذا الحرف بالزمان، مبينا أهمية الزمان كوسية تعين العقل على إدراك الأمور. فيرى الفارابي أنه لا شيء في الوجود ليس بحاجة الى زمان "يلتئم به

٢٥ الألفاظ المستعملة في المنطق جزء ١ صفحة ٢

٢٦ الفارابي. كتاب الحروف، جزء ١ صفحة ٦١

٢٧ المرجع السابق. نفس الصفحة.

وجوده"^(٢٨) فلا يستطيع العقل إدراك شيء إلا في حدود الزمان والمكان. فعندما تستخدم أو تستمع إلى الحرف "متى" فإنه يلزمك استحضار الزمان حتى تستوعب ما يُقال.

حرف "عن".

ربط الفارابي حرف "عن" بالسببية والفاعلية وبالجهة وبالظرفية، وساق لنا الأمثلة الموضحة لذلك، منها قوله: يقال: "عن شتم فلان لفلان كانت الخصومة". أي: حدثت الخصومة بسبب الشتم. كما أنّ "عن" تدل على الجهة أو على أصل الشيء، فيقال للإبريق عن النحاس. وتدل أيضا على الظرفية بمعنى "بعد" كقولك: "عن قليل تعلم ذلك" أي: بعد قليل. وهذا المعنى يستوي مع قوله تعالى: {قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبُ مَنْ نَادِمِينَ} [المؤمنون: ٤٠]، أي: عن قليل.^{٢٩} وتدل "عن" أيضا على الجهة، يقال "كان الموجود عن لا موجود" أو "عن العدم" أو "وُجد الشيء عن ضده"^(٣٠).

حرف "ما"

من المعلوم أن حرف "ما" وضع للدلالة على السؤال. وفي فلسفة الفارابي لهذا

٢٨ كتاب الحروف جزء ١ صفحة ٦٢ .

٢٩ محمد بن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، نشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥، جزء ٤ صفحة ١٥٠، الزجاجي، علي بن الحسين بن علي الأصفهاني الباقولي (المتوفى: نحو ٥٤٣هـ). إعراب القرآن، نشر: دار الكتب الإسلامية - القاهرة، بيروت - ١٤٠٤هـ -

١٩٨٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ابراهيم الأبياري جزء ١ صفحة ١٣٨

٣٠ كتاب الحروف جزء ١ صفحة ١٣٠

الحرف، يرى أنه ينبغي علينا أن نتأمل الشيء الذي يتم السؤال عنه بالحرف "ما" لأن هذا الحرف يطلب العلم بالمجهول، كما أنه قد يُقرن باللفظ المفرد الأعم منه ، كقولنا: " ما المعنى؟ "، وقد يُقرن بالمحسوس، كقولنا: " ما الذي نراه؟" أو "ما الذي بين يديك؟" وقد يُقرن باسم معقول المعنى، فيطلب التعمق في معرفته أكثر. كقولنا: "الإنسان ما هو؟" فالحرف "ما" ليس مجرد حرف استفهام، لكنه يأتي مقرونا بالمحسوس مثل: ما هذا الشيء؟ ويُقرن بالمعقول وبالنوع وبالجنس وبالحال، مثل: ما حالك؟ فالسؤال بـ "ما" يطلب معرفة حقيقة الشيء، فلا يكون الجواب خارجا عن ذات الشيء. يقول الفارابي:

"فهذه أربعة أمكنة يُستعمل فيها حرف "ما" على جهة السؤال. ويعمها كلها أنه يُطلب بها معرفة ذات الشيء المسؤول عنه، وأن يُتصور ذاته وأن يُعقل ذاته.. ويعمها أنها كلها ليس يمكن أن يُسأل عنها إلاّ وقد عُرف المسؤول عنه وتُصور مقداراً ما من التصور أو عقل إلى مقدار ما، ويُلتمس فيه أن يُعقل أكمل من ذلك المقدار وأن يُتصور بمقدار أزيد من ذلك التصور من ذلك المحسوس المسؤول عنه بحرف "ما". فإنه إذا عُقل وتُصور أنه " شيء " وأتته " أسود " وأنه " متحرك " فقد تُصور بأبعد ما يمكن أن يُتصور به الشيء وأنقصه. فإنّ " الشيء " هو أبعد ما يمكن أن يُتصور به "الأسود"، وأنه " أسود " فإنه أبعد عرض يمكن أن يُتصور به " المتحرك ". وأنه "متحرك" فإنه أيضا عرض بعيد من ذات المسؤول عنه. فإنّ القائل "ما ذلك المتحرك" يسأل عن ذلك الشيء الذي يراه متحركاً أو أسوداً. على أن معنى المتحرك غير معنى ذلك الذي علامته في أبصارنا أنه متحرك. وقد يُسأل في مثل هذا المكان " ما الحيوان الذي نراه " و " ما الجسم الذي نلمسه " ، فيكون مثل قولنا " ما ذلك الشيء الذي نراه " - غير أنّ " الشيء " هو أعمّ من " الحيوان " و " الحيوان " أخصّ من

"الشيء" - فإنّ هذه كلّها إنّما تُصوّر الشيء بجنسه فقط. و من جهل ذلك المرئيّ فإمّا أن يجاب بنوعه من حيث يدلّ عليه اسمه أو من حيث يدلّ عليه حدّه. فالمسؤول عنه بحرف " ما " في هذين هو معروف لا محالة حين ما يُسأل عنه معرفةً أنقص، إمّا بجنسه الأبعد جدّا أو بجنسه الأقرب، أو ما يقوم في العموم^(٣١)

وقد عقد الفارابي لفلسفة السؤال بحرف " ما " ستة عشر صفحة من كتابه " الحروف " يبين فيها قيمة وأهمية استعمال هذا الحرف، وما الذي يرتبط به، وما الذي يثيره في الذهن عن السؤال به.

حرف "أي"

يرى الفارابي أن حرف "أي" يستعمل للسؤال عن الشيء الذي تصورناه و نلتمس أن نفهمه ونعرف ما الذي يميزه عن غيره، أو ما ينفرد به عن كل ما يشاركه في جنسه. كقولنا: عن الإنسان مثلاً: "أي حيوان هو؟" وعن النخلة " أي نبات هي؟ " فتستعمل "أي" خشية أن يلتبس الشيء بغيره عند أخذه، ولا بد عند استعمالها أن يوجد لدى السائل لبس يريد إزالته، فلو قلت أي شيء هو زيد فقط، فإن هذه مسألة باطلة. فهي أداة تميز الشيء بماهيته عما سواه، فتبين الأمر الذي عرض لهذا الشيء فجعله مميزاً عن غيره. وقد يُستعمل حرف "أي" سؤالاً يُلتَمَس به معرفة أمر من أمرين، أو من عدة أمور، مثل قولك: " أي الأمرين تختار؟ " أو "أي هذه الثلاثة تختار". أي الرجلين خير؟، أي الأمور أفضل؟^(٣٢)

٣١ الحروف جزء ١ صفحة ١٧٢

٣٢ كتاب الحروف ص: ١٨١

العدد السادس والخمسون

وقد عقد الفارابي لهذا الحرف ما يقرب من ثلاثة عشر صفحة في "الفصل الثامن والعشرون" من كتابه "الحروف"

وكذلك في كتابه "الألفاظ المستعملة في المنطق في الفصل الثاني بعنوان "أصناف الحروف" يبين فيه فوائده وكيفية استعماله.^(٣٣)

فما قاله عن استعمال "أي": "حرف "أي" يُستعمل أيضا سؤالا يُطلب به علم ما يتميز به المسؤول عنه وما ينفرد وينحاز به عما يشاركه في أمر ما. فإثمه إذا فهم أمر ما وتصور وعقل بأمر يعمه هو وغيره، لم يكتف الملتمس تفهمه دون أن يفهمه ويتصوره ويعقله بما ينحاز به هو وحده دون المشارك له في ذلك الأمر العام له ولغيره. من ذلك أننا نستعمل هذا الحرف في السؤال عن ما تصورناه بما يدلّ عليه اسمه وبجنسه، والتمسنا بعد ذلك أن نتصوره ونعقله ونفهمه في أنفسنا بما ينحاز وينفرد ويتميّز به عن كلّ ما يشاركه في ذلك الجنس، وبما إذا عرفناه كذا عرفنا به ذلك النوع...."

حرف "كيف"

قدم الفارابي ما يقترن بهذا الحرف من ألفاظ، وبين لنا كيفية استخدامه عند السؤال عن ماهية الشيء، أو عن ما هو خارج الماهية. أو كيفية التمييز بين الذات وبين العَرَض. فذكر أن "كيف" يقترن بها المفرد وما يجري مجرى المفرد. مثل: كيف فلان في جسمه؟ فيقال: "صحيح" أو "مريض"، "قوي" أو "ضعيف" فالمطلوب معرفته

٣٣ كتاب الحروف ص ١٨١ وما بعدها. وكتاب "الألفاظ المستعملة في المنطق للفارابي من ص ٥٠ وما بعدها.

بحرف "كيف" هنا هو أمر خارج عن ماهية المسؤول عنه.. وكذلك سيكون الجواب بشيء خارج عن ماهية الشيء المسؤول عنه. فإذا قلنا: "كيف زيد؟" فأجبنا: "صالح" أو "طالح" صحيح" أو " مريض" فهذه الأجوبة خارجة عن ذات زيد، فإذا كانت الأسئلة عن الأمر الخارج عن الذات سميت "كيفيات عرضية" أو غير ذاتية، وإذا كانت الأسئلة متوجهة إلى ذات الشيء سميت "كيفيات ذاتية أو جوهرية"

وتفتقر ب " كيف" جزئيات أخرى مثل: " كيف صاغ زيد الخاتم؟" فالجواب: "جيد" أو " ردي" أو "سريع" أو " بطيء" فهذا هو الجواب المشهور. أما إذا فُرن السؤال بنوع صياغة الخاتم، فإن السائل سيحتاج إلى تفصيل الجواب، فيتحدث عن الأجزاء التي يُصنع منها الخاتم، والآلات التي تستخدم في صناعته أو في صياغته، ومراحل تصنيعه.. وهكذا، فهذا إخبار عن كيفية تكوينه وعن ماهيته. فمثلاً: لو سأل فقال: كيف صنع زيد السيف؟ فإنك ستجيبه عن شكل و ماهية السيف، وأنه من حديد، فلو قلنا: إنه مصنوع من الشمع، فإنه لن يوفي بغرضه، ثم تذكر مراحل تصنيع السيف.

ثم استطرد الفارابي مبيناً أنه لا يقتصر استعمال كيف على السؤال عن الأجسام المصنعة، وإنما تستخدم للسؤال عن كثير من الطبيعيات، كقولك: " كيف انكساف القمر؟" أو "كيف ينكسف القمر؟" فلا يكون الجواب "سريعاً" أو "بطيئاً" بل يكون الجواب مفصلاً، أنه يُحجب بالأرض عن الشمس فلا يقع عليه ضوءها. كذلك يُسأل بها عن خُلقة بعض الحيوانات لمعرفة تفاصيل عنها، كسؤالك: الجمل كيف هو؟، والزرافة كيف هي؟ فتصف في الجواب أجزاء كل منهما.^(٣٤)

٣٤ كتاب الحروف ص: ١٩٤، وكتاب الألفاظ المستعملة في المنطق ص: ٥٢

وجمع الفارابي بين استعمال "كيف" واستعمال "أي" وفرق بينهما، فبين أن جميع ما يمكن أن يكون في جواب "كيف هو" جائز استعماله في جواب "أي شيء هو" وكثير ما يمكن استعماله في جواب "أي شيء هو" لا يليق استعماله في جواب "كيف".

يقول الفارابي: "والكيفيات لما كانت منها ما يفاد به الصيغ الخارجة عن ذات الشيء. ومنها ما يفاد به معرفة صيغة ذات الشيء، صارت الكيفيات المفيدة صيغ ذوات الأشياء متى أخذت في جواب أي شيء هو تفيد ما يتميز به الشيء في ذاته عن غيره، وكانت الكيفيات التي تفيد الصيغ الخارجة عن ذات الشيء متى أخذت في جواب أي شيء هو تفيد ما يتميز به الشيء في أحواله عن غيره. وتميز الشيء في ذاته عن غيره هو. مثل: تميز النخلة بما هي نخلة عن الزجاج وتميز زيد عن عمرو بأن ذا صالح وذا طالح، فإننا نعلم يقينا أن زيدا ليس يتميز عن عمرو بمثل تميزه عن الصوف"^(٣٥).

ثم جمع الفارابي بين استعمال الحروف "ما" و "كيف" و "أي" فبين أن "ما" و "كيف" و "أي" أنه يتم السؤال بها عن شيء واحد بعينه. فقولنا: "كيف انكشاف القمر" و "أي شيء هو انكشاف القمر"، و "ما هو انكشاف القمر" يُطلب بها كلها شيء واحد. والجواب واحد هو أنه يُحتَجَبُ بالأرض عن الشمس.

ثم ميز الفارابي بين تلك الأدوات، أن السؤال ب "أي" يتطلب تمييز الشيء عن غيره في وجوده. والسؤال ب "كيف" يتطلب بيان طريقة حدوثه (ماهية الكسوف)

٣٥ الألفاظ المستعملة في المنطق جزء ١ صفحة ٤

بالإضافة إلى ذاته، لا من حيث هو مميز عن غيره، والسؤال ب "ما" يُطلب به ماهية الشيء فيتوجه إلى مادته (ماهيته) أو جنسه أو صورته.^(٣٦)

حرف "هل"

وفي فلسفة استعمال هذا الحرف بين الفارابي أنه يستعمل عندما لا يدري السائل عن الجواب شيئاً، ويستعمل كذلك عندما يدري السائل الجواب.

حيث إن هذا الحرف - كما وضع الفارابي - يأتي في الغالب مقروناً بقضيتين متقابلتين بينهما أحد حروف الانفصال (أو ، أم ، إما) مثل: هل زيد قائم أو قاعد؟ أو تأتي مع قضية واحدة والثانية مضمرة، مثل: هل هناك فرس؟ أو يأتي مع قضية واحدة فقط، مثل: هل يتكلم؟. وتستعمل "هل" في السؤال (عما لا يدريه السائل بأي القضيتين يجيب، وعما لا يبالي السائل بأيهما أجاب المجيب، وقد تستعمل فيما يدري السائل بأيهما يجيب المجيب).

"وأما السوفسطائية فإنها تستعمل السؤال بحرف " هل " في ثلاثة أمكنة. أحدها عند التشكيك السوفسطائي، فإنه يسأل بالمتقابلين وبما هو في الظاهر والمغالطة متقابلين، ويلتمس إلزام المحال من كلّ واحد منهما. والثاني عندما تتشبه بصناعة الجدل أو تغالط وتوهم أنّ صناعتها هي صناعة الارتياض. فيستعمل السؤال بحرف " هل " عند تسلّم الوضع ويستعمله أيضاً عندما يلتمس تسلّم المقدمات التي يُبطل بها على المجيب الوضع الذي تضمن حفظه. غير أنّ ما تفعله صناعة الجدل فيما هو في الحقيقة مشهور تفعله السوفسطائية فيما هو في الظنّ والظاهر والتمويه أنه مشهور

من غير أن يكون في الحقيقة كذلك. والثالث عندما تتشبه بالفلسفة وتوهم أنها هي صناعة الفلسفة. وكلّ موضع تستعمل فيه الفلسفة السؤال بحرف " هل " وتطلب به الحقّ اليقين من المطلوب بحرف " هل " فإنّ السوفسطائية تطلب فيه بحرف "هل" ما هو في الظنّ والتمويه والمغالطة".^(٣٧)

حرف "لِمَ"

ربط الفارابي استخدام هذا الحرف بطلب سبب وجود الشيء. فهو حرف مركب من اللام والميم، وكأنه قيل: "لماذا" ويُسأل بها عن الشيء الذي عُلم وجوده وصدقه إما بنفسه، وإما بطريق القياس. والجواب عن الحرف "لِمَ" يكون بذكر السبب، وذلك باستخدام الأداة "لأن" وما يقوم مقامها في سائر الألسنة، مع العلم بأن سبب وجود الشيء غير سبب علمنا بوجوده، وكل برهان هو سبب للعلم بوجود شيء ما، ولا يمتنع ان توجد في البرهان أمور تكون سببا لوجود ذلك الشيء أيضا. والحروف التي تُطلب بها أسباب وجود الشيء وعلله ثلاثة، هي: أولاً: لماذا وجوده؟ أو ما الفائدة من وجوده أو ما الغرض والغاية التي من أجلها وجود هذا الشيء؟ وثانياً: بماذا وجوده؟ أي: من الفاعل لوجوده؟ ، وثالثاً: عم ماذا وجوده؟ أي: ما أصل وجوده، أو ما أمهية وجوده؟^(٣٨)

٣٧ الحروف جزء ١ صفحة ٢٢٤

٣٨ السابق. ص: ٢٠٤

العدد السادس والخمسون

مثال: السؤال عن النهار. لِمَ أو لماذا وجود النهار؟ الجواب: تقول للضوء. وبماذا وجوده؟ تقول: بدوران الأرض حول نفسها. وعن ماذا وجوده؟ تقول: عن ضوء الشمس.

وعقد الفارابي في كتاب "الحروف" فصلا خاصا للأسئلة الفلسفية عنونه ب"السؤالات الفلسفية" وهي: هل هو، لماذا هو، ماذا هو، بماذا هو، عن ماذا هو، هل، لماذا، بماذا، عن ماذا. وقد تفترن هذه الدوات بالمفردات وبالمركبات من الألفاظ، إلا " ماذا هو " فلا تُقرن إلا بالمفردات فقط.^{٣٩}

كما تحدث الفارابي في كتاب " الألفاظ المستعملة في المنطق " عن الحروف التي إذا قُرئت بشيء دلت على طلب معرفة سبب حدوث هذا الشيء، كقولك: " لِمَ هذا " و " ما بال هذا؟ " و " ما شأن " و ما يشبهها. فهذه الحروف تفترن بالشيء المعلوم الوجود، فإذا قلنا ما بال فلان يفعل كذا وكذا؟ ولم نعلم أنه يفعل، كان هذا السؤال باطلا. فالشيء الذي يُقرن به الحرف " ما " لا بد أن يكون مفردا معلوم الوجود، والشيء الذي يُقرن به الحرف " لِمَ " لا بد أن يكون مركبا معلوم الوجود.^{٤٠}

وعقد الفارابي فصلا عن الروابط وأصنافها، مثل: "إما" و " إن كان " و "كلما كان " و "متى كان " و "إذا كان " وما أشبه ذلك. وصنفها، فمنها ما سماه " بالرباط المضمن، بمعنى أن الأول قد تضمن لحاق الثاني به، مثل قولنا: إن دخل زيد خرج عمرو، ومثل إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود، فإن طلوع الشمس قد تضمن لحوق

٣٩ السابق: ص: ٢١٢

٤٠ الألفاظ المستعملة في المنطق . ص: ٥٥.٥٤

وجود النهار. غير أن طلوع الشمس لم يوثق بعد بكونه. فلذلك تسمى هذه الحروف المضمنات بشريطة. ومنها: المضمن جزماً، مثل: "لما"، مثال ذلك قولنا: لما طلعت الشمس كان النهار ولما جاء الصيف اشتد الحر ولما كانت الشمس مقاطرة للقمر انكسف القمر، فإن هذا الحرف دل على أن الأول متضمن لحاق الثاني به بعد أن وثق بوجود الأول. فلذلك يسمى هذا الحرف المضمن جزماً. ومنها المضمن مبادعة الآخر، مثل قولنا: "أما" ... ومنها ما إذا قرن بالشيء دل على أنه غاية لشيء سبقه، مثل قولنا: كي واللام التي تقوم مقامه. ومنها ما إذا قرن بالشيء دل على أنه سبب لشيء سبقه في اللفظ أو لشيء يتلوه، مثل قولنا لأن ومن أجل ومن قبل. ومنها ما إذا قرن بالشيء دل على أن ذلك الشيء لازم عن شيء آخر موثوق به وقد سبقه، مثل قولنا: فإذن وما قام مقامه"^{٤١}.

تلك كانت نماذج لبعض الحروف التي استخدمها الفارابي استخداماً فلسفياً أو منطقياً. فرأيناه قد حول حروف السؤال من مجرد أدوات استفهام إلى جعلها أدوات لطلب العلم والمعرفة أو لغرض التعليم. وهذا هو عينه المنهج القرآني والنبوي في استخدام أدوات السؤال التي تفتح للعقل المجال للتفكير والتدبير والملاحظة والانتباه. مثل قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد : ٢٤]

وقوله صلى الله عليه وسلم: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَذُرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ"^{٤٢}

٤١ الألفاظ المستعملة في المنطق جزء ١ صفحة ٥

٤٢ صحيح ابن حبان . لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي جزء ١٠ صفحة ٢٥٩
نشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط
العدد السادس والخمسون ٢٨ أكتوبر ٢٠٢١

فوجدنا الفارابي يطوع اللغة لبيان الفكر الفلسفي، فجعل من اللغة العربية وسيلة نافعة لنقل سمات وأنواع العلوم الأخرى، وهذا يعد نقلة نوعية للغة العربية، فلم تعد تلك اللغة مجرد وسيلة للتعبير عن احتياجات الفرد وأفكاره وللتواصل مع الآخرين، وإنما ابتكر الفارابي للغة وظيفة مهمة جديدة، وهي نقل علوم ومعارف و ثقافات الحضارات الأخرى. وبذلك يسر الفارابي للمبتدئين تحصيل أصول العلوم الأخرى، مثل: علم الألفاظ والتراكيب ، وعلم الشعر ، وعلم العدد، وعلم الطبيعة، وعلم الهندسة وعلم المناظر، وعلم النجوم، وعلم الموسيقى، وعلم الأثقال وعلم الحيل، وعلم السياسة، وعلم المنطق.^{٤٣}

٤٣ انظر كتاب "إحصاء العلوم للفارابي". صفحة ٣ وما بعدها بعد مقدمة المحقق. عثمان محمد

أمين. مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٩٣١.